

وفي هذه السنة أعني سنة ست وتسعين وتسعمائة في ذي الحجة منها سافر المنصور إلى فاس وبينما هو في الطريق وافته البشري بالفتك بنصاري سبتة وأن زعيم الفئة الجهادية وهو المقدم أبو العباس أحمد النقسيس التطواني كمن لهم مع جماعة من الفرسان في موضع فخرج النصاري بأولادهم وحشمهم فحال النقسيس بينهم وبين سبتة وأوقع بهم وكاد يفتحها وسر المنصور بهذا الخبر وأنشده في ذلك الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي بيتين زجر له منهما الفال باستيلائه عليها وهما .

(هذه سبتة تزف عروسا % نحو ناديك في شباب قشيب) .

(وهي بشري وأنت كفؤ اللواتي % كافأت بعلمها بفتح قريب) .

وفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة في اليوم الثاني من ذي القعدة منها أخلى النصاري مدينة آصيلا حملهم الخوف من كتيبة المسلمين المرابطة هنالك على الفرار بأنفسهم فتركوها يبابا وذهبوا وفي ذلك يقول أبو العباس ابن القاضي .

(يا أيها المنصور أبشر بالعلماء % فإني أبلغ في العدا المأمولا) .

(أنضاكم سيفا لحتف عداته % وبكم غدا سيف الردى مفلولا) .

(وهزمتكم الشرك المتين بعزمكم % من غير سيف لم يرى مسلولا) .

(وأذيتكم كيد الخبيث بهمة % وفتحتم دار العدا آصيلا) .

(أكرم به من مالك بل صالح % أضحى لبارود العداة خليلا) .

(لا زال في أنف الهدى شمما وفي % عين العلاء يشاكل التكحिला) .

وأشار بقوله لبارود العداة خليلا إلى ما صنعه النصاري دمرهم إني حين أرادوا الخروج من آصيلا فإنهم حفروا تحت قصبته وملؤوا الحفرة بالبارود وأوقدوا فتिला تبلغه ناره عند دخول المسلمين فيهلكون ففر نصرايني منهم وأخبر المسلمين بذلك فنجاهم إني تعالى من مكيدة الوبال وكفى إني المؤمنين القتال وقال في ذلك أيضا الكاتب البارع أبو فارس عبد العزيز الفشتالي شعرا ذكره صاحب نشر المثاني فانظره .

وكان في زمن المنصور رجال من بيوتات المغرب معروفون بالشجاعة